في صفة نبيه وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ومنتهى سفره دار
السلام ودار القرار وله في سفره أربعة منازل ظهر أبيه وبطن
أمه وظهر الأرض والموقف وله حالتان حالة هو فيها مستودع
وهو ما دام في هذه المنازل وحالة هو فيها مستقر وهو إذا
حصل في دار القرار وإلى ذلك أشار الله تعالى بقوله وهو الذي
أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع والمنزل الذي فيه
يحتاج إلى تزود ظهر الأرض فالإنسان في كدح وكبد ما لم
ينته إلى دار القرار كما قال الله تعالى يا أيها الإنسان إنك كادح
إلى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى لقد خلقنا الإنسان في كبد
وهو مجبول على طلب الراحة لكن الناس في طلبها على ضربين ضرب
عموا عن الآخرة وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا و
فعلوا فعل من قال ذلك وإن لم يقولوا قولهم فطلبوا الراحة من حيث
لا راحة وهم كالموصوفين بقوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب
بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وقوله إنما
مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات
الأرض الآية فإنهم طلبوا من الدنيا ما ليس في طبيعتها ولا
موجودا فيها ولها وما أحسن قول الشاعر

أريد من زمني ذا أن يبلغني * ما ليس يبلغه في نفسه الزمن

وقال آخر

مضى قبلنا قوم رجوا أن يقوموا * بلا تعب عيشا فلم يتقوموا

وضرب عر

وضرب عرفوا الدنيا والآخرة وعلموا أن الدنيا كما قال الله تعالى ولكم
في الأرض مستقر ومتاع إلى حين وأن الدار الآخرة لهي
الحيوان وعلموا أن فيها يستقر الإنسان ويطمئن كما قال الله تعالى
يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية وأنه يحتاج
أن يسافر إليها كما قال عم سافروا تغنموا فاحتملوا المشقة علما
أن كل تعب يؤديهم إلى راحة فهو راحة فسعدوا كما قال الله تعالى
فأما الذين سعدوا ففي الجنة **وقد جعل للإنسان جزئين مفيدين**
لذاذين أحدهما روحاني كالمعارف والحكم والعبادات والأخلاق
الحسنة وثمرته الحياة الأبدية والغنى الدائم والاستكثار منه محمود
ولا يكاد يطلبه إلا من قد عرفه وعرف منفعته والثاني جسماني كالمال
والأثاث وفي الجملة ما قد بينه الله تعالى بقوله زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والأنعام والحرث وثمرته أن تحصل به الحياة الدنيوية
الفانية ويسترجع من الإنسان إذا فارق دنياه ولا ينتفع منه
بشيء إلا بقدر ما استعان به في الوصول إلى الزاد الأخروي
كما نبه الله تعالى عليه بقوله وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع
ولا يولع بالركون إليها إلا من جهل حقائقها ومنافعها والاستكثار
منه ليس بمذموم ما لم يكن مثبطا لصاحبه عن مقصده وكان
متناولا على الوجه الذي يجب وكما يجب ومصروفا إلى الوجه الذي
ينتفع به في مقصده لكن تناوله على هذا الوجه والاستكثار
منه لا يتأتى إلا إذا كان السلطان عادلا والأمور جارية على

الرياض

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)